القسم السابع
عمات المصطفى ﷺ

كنَّ ثلاثاً: صفية وأروى وعاتكة بنات عبد المطلب، رضي الله عنهنَّ.

١ ـ صفية بنت عبد المطلب:

اسمها ونسبها:

صفية: بنت عبد المطلب بن هاشم، القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ، وأخت أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، وشهيد الإسلام في أحد، وأم الصحابي الجليل الزبير بن العوام.

كان والدها «عبد المطلب» سيد قريش جمع المجد والسؤدد والشرف في قبة ضربت عليه، وهذا ما جعلها قوية الشخصية، وأولاها مكانة مرموقة في قومها.

فضائلها وإسلامها:

كانت فارسة شجاعة، وبليغة فصيحة، وقارئة عالمة، وأتم الله عليها نعمته حين هداها لنور والإيمان، وألبسها حلة الإسلام، فأكسبها بهاء ونوراً، وكانت من أوائل المبايعات لرسول الله ﷺ في بدء دعوته، فآمنت بالله لا شريك له، وصدقت ابن أخيها رسوله وآزرته، حتى عظم شأنها بين المسلمين.

زوجها في الجاهلية:

تزوجت في الجاهلية من الحارث بن حرب بن أمية، أخي أبي سفيان، ولما مات عنها، تزوجها العوام بن خويلد، فولدت له الزبير وعبد الكعبة والسائب، وشهد السائب مع رسول الله ﷺ معركتي بدر والخندق، ثم استشهد في اليمامة.

هجرتها للمدينة مع ابنها الزبير:

وحين أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، كانت رضي الله عنها مع ابنها الزبير بن العوام رضي الله عنه بين الأوائل من المهاجرين، وكانت هجرتها رحمة بها وبابنها الذي كان عمه يعلقه في حصير، ويرضى عليه ليعود إلى الكفر، فيقول: لا أكفر أبداً. وكانت نظراتها إلى ابنها، وهو يعذب، دون أن تستطيع الدفع عنه، تشجع الابن على الثبات على دين الإسلام الذي هداه الله إليه، وأتم نعمته به عليه.

وعندما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، اخى بين الزبير وسلامة بن سلامة بن وقش وبدأ الإسلام ينتشر، وأسهمت صفية في ذلك أيما إسهام، وكان الجهاد متأصلاً في نفسها، فاندفعت مع النساء يوم أحد إلى قلب المعركة تسعف الجرحى وتحضر الطعام وتحث المجاهدين ولما خالف بعض المسلمين أوقد النبي ﷺ وتخلوا عن مواقعهم، أخذت رمحاً وتصدت للضارين وراحت تضربهم وتقول لهم: انهزمتم عن رسول الله ﷺ.

ولما انتهت المعركة، علم رسول الله ﷺ أن عمه حمزة قد قتل غدراً ومثل بجثته أشنع تمثيل، وإن نظر ﷺ إلى جثته حتى اعتصر الحزن قلبه فقال: «لقد أصاب بمثلك، ما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا».

رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات وصولاً للرحم، أما والله لئن أظفرني الله تعالى بقريش في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين منهم كذلك.

لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير. ووضعه ﷺ في القبلة ثم وقف على جثمانه وانتحب حتى شهق، وأخذه الغشي وراح يقول: «يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله».

رؤيتها أخاها حمزة بعد مصرعه والتمثيل به:

وبينما الرسول ﷺ غارق في أحزانه، أقبلت صفية لتنظر أخاها حمزة وقد علمت بمصرعه لكن رسول الله ﷺ لم يشأ أن تراه وقد مثل به، فقال لابنها الزبير: «يا زبير أعن عني أمك».

قال الزبير لأمه والألم يعتصره: يا أمه! إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي. قالت: لم، وقد بلغني أن قد مثل بأخي؟ وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك؟ لأحتسبن، ولأصبرن إن شاء الله.

وأراد الأنصار أن يمنعوها رؤية جثمان أخيها، فأبت أن ترجع، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوها».

ولما رأت جثته وقد مثل بها جعلت تبكي والرسول ﷺ وابنته فاطمة يبكيان معها، ثم قال: «لن أصاب بمثل حمزة أبداً». وكفن حمزة بشملة قصيرة إذا غطوا رأسه بدت رجلاه وإذا غطوا رجليه انكشف رأسه، فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الحشائش الخضر.

وعند دفن حمزة رضي الله عنه في قبره، قال رسول الله ﷺ: «جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله».

شجاعة صفية:

قالت صفية: أنا أول امرأة قتلت رجلاً. وذلك عندما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، جعل النساء المشاركات وصبيانهم في حصن مرتفع يسمى (فارع)، وجعل معهن شاعره (حسان بن ثابت) وقد ناهز الستين. وتسلل يهودي إلى حيث النساء، يحاول التهجم على أعراضهن وأخذ يطوف بالحصن والمسلمون في نحور أعدائهم.

فقالت صفية: يا حسان قم فاقتل هذا اليهودي فإني لا آمنه أن يدل على عورتنا.

فقال حسان: لو كان ذلك فيَّ لكنت مع رسول الله ﷺ، يغفر الله لك يا صفية قد عرفتني ما أنا بصاحب هذا. ثم تركته واحتجزت ثم تناولت عموداً غليظاً ونزلت من الحصن، فضربت اليهودي عدة ضربات على رأسه فمات. وعادت إلى الحصن فرحة بحفظها عورات المسلمات، وقالت لحسان: انزل فاسلبه، ولم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. فرد حسان: ما لي بسلبه حاجة!

وانطلقت صفية مع المسلمات يوم خيبر لتشد أزر المسلمين وتداوي جرحاهم وتحضر الطعام للمجاهدين وتهيئة السلاح لهم. كانت صفية المجاهدة محبة لابن أخيها رسول الله ﷺ، آمنت به وصدقته وآزرته.

رثائها النبي ﷺ:

ولما مضى إلى لقاء ربه رثته بشعر راق متميز فقالت:

عينُ جودي بدمعة وسهود ... واندبي خيرها لك مفقود
واندبي المصطفى بحزن شديد ... خالط القلب فهو كالمعمود
كدت أقضي الحياة لما أنساه ... قدر خط في كتاب مجيد
فلقد كان بالعباد رؤوفاً ... ولهم رحمة وخير رشيد
رضي اللَّه عنه حياً وميتاً ... وجزاه الجنان يوم الخلود

وفاتها وعمرها:

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاضت روح صفية إلى بارئها ودفنت بالبقيع ولها بضع وسبعون سنة، رحم الله أم الزبير وأسكنها مع الخالدين في جنات النعيم.

٢ ـ أروى بنت عبد المطلب:

اسمها ونسبها:

أروى: بنت عبد المطلب بن هاشم، القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ، وأخت والده عبد الله بن عبد المطلب، وأم المجاهد طليب بن عمير.

نشأت في بيت والدها عبد المطلب ذي المجد والسؤدد والشرف، ونهلت من عائلتها البلاغة والفصاحة التي مكنتها من أن تركب خضم الشعر وتخوض غماره.

زواجها في الجاهلية وابنها:

وكان زوجها في الجاهلية عمير بن وهب بن عبد مناف، فولدت له (طليباً)، ثم تزوجت بعد وفاته من أرطأة بن شرحبيل بن هاشم فولدت له (فاطمة).

إسلام ابنها قبلها:

وقد أسلم «طليب» قبل أمه أروى بفترة بسيطة في دار الأرقم، ودافع عن إسلامه بما يملك من جهد وصبر، وكان غيوراً عليه وعلى رسوله محمد ﷺ. وكان أول من أدمى مشركاً دفاعاً عن النبيّ ﷺ، فقد سمع عوف بن صبرة السهمي «يشتم النبيّ ﷺ فأخذ طليب لحي جمل وضرب عوفاً فشجه.

ولما قيل لأمه أروى ألا ترين ما فعل ابنك يا ابنة عبد المطلب؟ فقالت:

إن طليباً نصر ابن خاله ... واساه في ذي دمه وماله

إسلامها:

وحين تعرض أبو جهل وبعض كفار قريش للنبي ﷺ وآذوه، عمد طليب إلى أبي جهل فضربه وشجه، فأخذوه وأوثقوه، فقام دونه أبو لهب، وهو أخو أروى لأمه: حتى خلاه، فقيل لأروى: ألا ترين ابنك طليباً قد صيَّر نفسه غرضاً دون محمد؟

فقالت أروى رضي الله عنها: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله، وقد جاء بالحق من عند الله، فقالوا لها: وهل تبعت محمداً؟ قالت: نعم.

فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبروه، فأقبل حتى دخل عليها، فقال: عجباً لك ولاتباعك محمداً وتركك دين عبد المطلب. فقالت أروى: قد كان ذلك، فقم

دون ابن أخيك واعضده وامنعه، فإن يظهر فأنت بالخيار أن تدخل معه أو تكون على دينك، وإن يصب كنت قد أعذرت في ابن أخيك.

فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة، جاء بدين محدث، فأبى أن يسلم.

وروي أن طليباً أسلم في دار الأرقم بن الأرقم المخزومي، ثم خرج فدخل على أمه أروى فقال: تبعت محمداً ﷺ، وأسلمت لله.

فقالت له أمه: إن أحق من وزرت وعضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه.

فقال طليب: فما يمنعك يا أمي من أن تسلمي وتتبعيه؟ فقد أسلم أخوك حمزة.

فقالت له: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن.

فقال طليب: فإني أسألك بالله تعالى إلا أتيته، فسلمت عليه وصدقته، وشهدت أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأسلمت أروى وراحت تعضد رسول الله بلسانها وتدافع عن ابن أخيها ﷺ وعن دينها وتحض ابنها طليباً على القيام بأمره ﷺ كما ذكر صاحب الإصابة[١].

وقد ذكر الحافظ الذهبي في السير: أنه لم يسمع لها بعد إسلامها في مكة ذكر، ولا وجد لها رواية[٢].

رثاؤها للنبي ﷺ:

وقد عثر في كتب المحدثين[٣] على رثاء لها لرسول الله ﷺ بعد وفاته، تقول فيه:

ألا يا رسول اللّه كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تكن جافيا

---

(١) الإصابة لابن حجر ١٢/١٠٩.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٢٧٢.
(٣) المائة الأوائل للنساء: لسليمان بواب/ص ١٧٦.

كـأن علـى قلبـي لـذكـر محمـد وما جمعت بعد النبي المجاوبا

وفـاتها:

وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة فاضت روح السيدة أروى إلى بارئها، بعد حياة حافلة ختمتها بالدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ رحمها الله وجعل الجنة مثواها.

٣ ـ عاتـكة بنت عبد المطلب:

اسمها ونسبها:

عاتكة: بنت عبد المطلب بن هاشم، القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ، وأخت والده عبد الله بن عبد المطلب.

عاشت عاتكة في كنف أبيها (عبد المطلب) في بيت ضم المجد والسؤدد بين جوانحه. وكانت تتمتع بحس مرهف، ولسان فصيح ينطلق بشعر نقي صاف إذا ألمَّت فاجعة وأنزلت نائبة، مثلها في ذلك مثل شقيقتيها صفية وأروى رضي الله عنهن جميعاً. فكلهن خضن غمار الشعر وخرجن مرفوعات الجبين.

زواجها في الجاهلية وأولادها:

تزوجت عاتكة في الجاهلية من أبي أمية بن المغيرة، والد أم سلمة زوج النبيّ ﷺ، فأنجبت له (عبد الله وزهير). أما عبد الله فقد أعرض عن الإسلام، وأما زهير فقد أسلم وكان أحد الساعين لنقض صحيفة المقاطعة التي فرضتها قريش على رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، وكان رضي الله عنه منافحاً عن رسول الله ﷺ والساعد الممتد لحمايته من البغي والعدوان من جمع المشركين.

لقد أسلمت عاتكة رضي الله عنها في مكة مع اللواتي بايعن رسول الله ﷺ في مكة ثم هاجرن معه إلى المدينة المنورة.

رؤيـا عاتـكة:

وقد أوردت كتب السيرة عن السيدة عاتكة أنها رأت رؤيا صدقها الله تعالى

وحقق رؤياها. وذلك في هزيمة قريش في غزوة بدر، وها هي ذي تروي رؤياها التي ينقلها عنها عروة بن الزبير، قال: رأت عاتكة بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال، رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به. فقال لها العباس: وما رأيت؟

قالت: «رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: «ألا انفروا يا لُغُدر[١] لمصارعكم في ثلاث (صرخ بها ثلاث مرات)، فأرى الناس اجتمعوا عليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها ثلاثاً: ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم؛ في ثلاث. ثم مثل به بعيره على رأس جبل ـ أبي قبيس ـ فصرخ بمثلها ثلاثاً، ثم أخذ صخرة من جبل أبي قبيس فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل تفتت جميعها، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقة، (ولم يدخل داراً ولا بيتاً من بيوت بني هاشم ولا بني زهرة من تلك الصخرة شيء»[٢]. فقال لها أخوها العباس: والله إن هذه لرؤيا، فأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس من عندها، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان صديقاً له، فذكر الرؤيا، واستكتمه إياها: فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث بمكة، حتى تحدثت به قريش في أنديتها ومما جرى بين أبي جهل والعباس بسبب الرؤيا، يقول العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل، قال: يا أبا الفضل: إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا.

(١) يا لغدر: يا آل غدر بضم الغين والدال جمع (غَدور).
(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣.

فلما فرغت، أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه البنية؟ قال العباس: وما ذاك؟

قال أبو جهل: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة.

فقال العباس وقد تجاهل حديث أبي جهل: وما رأت عاتكة؟

فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم، قد زعمت عاتكة في رؤيا أنه قال: انفروا في ثلاث، فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمضي الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

يقول العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير، إلا أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً، ثم تفرقنا. ويتابع العباس حديثه قائلاً: ولما أمسيت، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيره ـ أي تغيير وإنكار ـ لشيء مما سمعت.

فقال العباس: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير، وأيم الله لأتعرض له، فإن عاد لأكفيكُنَّه.

تحقق الرؤية:

قال العباس: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه! فدخلت المسجد فرأيته، فوالله لأمشي نحوه، أتعرض، ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، فما إن رآني إذ خرج يشتد نحو الباب. فقلت في نفسي: ما له لعنهُ؟! أكل هذا فرق مني ـ أي خوف مني؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري، وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفاً على بعيره، قد جدع بعيره ـ أي قطع أنف بعيره ـ وحوله رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد

عرض لها محمد ﷺ في أصحابه لا أرى أن تدركوها! الغوث الغوث!.

قال العباس: فشغلني عنه، وشغله عني ما قد جاء من الأمر.

وبذلك تتحقق بإرادة الله رؤيا عاتكة الصادقة رضي الله عنها. وتكون معركة بدر ليساق على أثرها أشراف قريش الكفار وصناديدها، إلى مصارعهم في أرض بدر. ويكون على رأسهم أبو جهل الذي قتله الله تعالى على يد أصحاب رسول الله ﷺ.

وبعد صدق رؤيا عاتكة وانتصار المسلمين الكبير في معركة بدر، زاد الله في قلب عاتكة حبها لله ولرسوله ﷺ، وازدادت تعلقاً بدين الإسلام وتمسكاً بأحكامه.

وفاتها:

وحين رأت جموع كفار قريش آيبة منهزمة، أخذت عاتكة تجهز نفسها للهجرة إلى المدينة المنورة لتقيم فيها يقيم رسول الله ﷺ، حتى أدركتها المنية.

رحم الله عاتكة المهاجرة وجعلها في مستقر رحمته.

openkandil.com